

الكاتب: أ/ عبد العزيز حفيضي
 جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس
 عنوان المقال: مقاومة القبائل التادلية
 للاحتلال الفرنسي موحى وسعيد الويراري
 البريد الإلكتروني: abdelazizh@gmail.com

تاريخ الارسال: 2019/02/18 تاريخ القبول: 2019/03/28 تاريخ النشر: 2019/04/30

مقاومة القبائل التادلية للاحتلال الفرنسي موحى وسعيد الويراري نموذجاً

الملخص بالعربية:

يمثل المجال المغربي أبرز المناطق العالمية التي اشتد حولها التنافس الامبريالي طيلة القرن 19م، حيث منذ وصول الفرنسيين إلى الجزائر سنة 1830م، وأعينهم صوب المغرب الأقصى، فحاولوا جاهدين البحث عن ذرائع لتحقيق هذا المبتغى، ووضع اليد على أهم المناطق الحدودية، التي كانت أوله كل من منطقتي وجدة والدار البيضاء، هاته الأخيرة التي مثلت بالنسبة إليهم أهم معبر يوصلهم إلى أهم مناطق المغرب "تادلا"، الموقع الاستراتيجي الذي يصل بين عاصمة المغرب الشمالية فاس وعاصمته الجنوبية مراكش، وكذلك بين المناطق الجبلية والمناطق الساحلية، فضلاً عن توفرها على أغنى سهول المغرب، وبالموازاة مع ذلك فقد ضمت المنطقة مجاهدين معلنين للمستعمر الدفاع عن مجالهم بكل ما أوتوا من قوة، وكان أبرزهم موحى وسعيد الويراري الذي تمكن وأتباعه من الصمود في وجهه لأطول مدة، وإلحاق أضرار جسيمة به، وقد مثلت معارك القصيبة أبرز أوجه النضال من قبل القبائل التادلية بزعامة موحى وسعيد الويراري، تكبدت خلالها القوات الفرنسية خسائر فادحة، وذلك بعدما استنفذ ساستها كل أساليب الإقناع.

كلمات مفتاحية: مقاومة - قبائل تادلا - الاحتلال الفرنسي - موحى وسعيد الويراري

Abstract :

The Moroccan sphere is the most important region in the world where imperial rivalry intensified throughout the 19th century. Since the arrival of the French to Algeria in 1830, And set them in the direction of Morocco. They tried hard to find excuses to achieve this goal, and put the hand on the most important border areas,

Which was the first of the regions of Oujda and Casablanca. The latter is the most important crossing point for the most important areas of Morocco, "Tadla", the strategic location that connects the capital of Northern Morocco Fez and its southern capital Marrakech, As well as between mountain areas and coastal areas, As well as on the richest plains of Morocco, At the same time, the region included mujahideen announcing the colonizer to defend their area with all their might, The most prominent of them was Moha o Said Al Wirari, who and his followers managed to withstand him for a longer period of time.

The battles of Qusayba were the most prominent aspects of the struggle by the tribes of Tadla led by Moha o Said Al Wirari, during which the French forces suffered heavy losses, after exhausting their politicians all persuasion methods.

Key Words: Resistance - Tribes of Tadla - The French occupation - Moha o Said Al Wirari

تقديم

احتلت منطقة تادلا موقعا ذا مكانة استراتيجية بالغ الأهمية، يتجلى في توسطه المحور العام الممتد بين عاصمة الشمال فاس وعاصمة الجنوب مراكش من جهة، والمناطق الساحلية والجبلية من جهة أخرى، فضلا عن توفرها على أغنى سهول المغرب، ما جعل الجنرال غيوم يذهب إلى حد القول -منذ احتلال الدارالبيضاء والسيطرة على الشاوية- بأن المنطقة تجسد باب المغرب الذي لا بد لفرنسا من احتلاله، ولا شك أن السيطرة على هذه المنطقة تعني خلق قواعد أساسية من شأنها تسهيل عملية ضم المناطق الجبلية الفاصلة بين غرب البلاد وشرقها.

بعد حادث احتلال الدارالبيضاء، وما خلفه من أصداء مأساوية في معظم أرجاء البلاد عامة، والقبائل الأطلسية خاصة، كانت استجابة مجموعة من الزعماء والقواد لتلبية نداء الجهاد، وكان من أبرزهم القائد موحى وسعيد الويراري الذي اتجه إلى الشاوية، حيث خاض هنالك معارك باسلة ضد الجيوش الفرنسية، ومنذ ذلك الحين انخرط في حركة المقاومة المسلحة بتحد، وعيا منه بخطورة مخطط الاجتياح الفرنسي للبلاد من جهة، وما تقتضيه دقة

الظرفية العامة في المغرب، من مجابهة وكفاح مسلح من جهة أخرى، وتجلى ذلك في رفضه الانصياع للعروض المغربية التي ما فتئت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تقدمها له مقابل التنازل عن خيار الجهاد.

وبعد أن استنفد كل من المقيم العام ليوطي وقائد منطقة تادلا مانجان كل وسائل الإغراء لاحتواء حركة موحى وسعيد، قرر هذا الأخير الإقدام على وضع خطة لهجوم كاسح على بلدة القصيبة، وضرب المقاومة هناك، حتى يتمكن من ردع القبائل الصامدة وإجبارها على الرضوخ لإدارة الاحتلال، على نحو ما حصل مع القبائل في سهل تادلا.

1- موحى وسعيد الويراري الأمغار، القائد والمقاوم

تنتمي شخصية موحى وسعيد إلى قبيلة آيت ويرا¹، ولم يعرف تاريخ ميلاده²، وهو القائد المجاهد المغمور المسكوت عنه، والقائد المخزني الذي ظل يجسم المرحلة البطولية تجسما ماديا ما بين بلدة القصيبة وسهول الشاوية. تجمع المصادر التاريخية على أنه كان وديعا متواضعا، اشتهر بذكائه الحاد، وحذق كبير في علاقاته مع القبائل، فضلا عن شجاعته النادرة ومهارته في التنظيم والاتصال، كل هذه الخصال جعلت آيت ويرا تختاره أمغارا عليها³.

استطاع منذ بداية توليه وظيفة الأمغار أن يؤثر بفضل حسن تدييره، على جل أفخاذ آيت ويرا، ويجتذبها إلى جانبه، غير أنه اضطر كذلك إلى إعلان الحرب على أفخاذ أخرى كانت تشد عن الطاعة، وبعد بضع سنين كان نفوذه يمتد إلى جميع القبائل التي تكون اتحادية آيت اسري⁴.

ولما وصل إلى هذا المستوى من النفوذ، بحث عن اعتراف المخزن بسلطته على القبائل، فكان انتقاله إلى القصيبة مناسبة لذلك، حيث ولاه القائد ابن همو مسؤولا على هذه البلدة وما إليها، وهكذا أصبح خليفة القائد، وممثلا للسلطة المحلية في قرية القصيبة. استغل موحى وسعيد هذا المنصب لتوطيد سلطته وفرض نفوذه من جهة، ومن جهة أخرى حاول أن يلفت أنظار المخزن إليه، وقد واتته الفرصة عندما وجه السلطان طابورا عسكريا إلى قائده ابن همو لمساعدته على استتاب الأمن، لكن هذا الأخير تبرم من استقبال الطابور، فانتهر الفرصة موحى وسعيد، واستقبل العساكر المخزنية بحفاوة كبيرة، وتقول الرواية الشفاهية "أنه كان لا يملك

إلا بقرة وثورا، فذبح الثور لإطعام جنود المخزن"⁵. وما جعل موحى وسعيد يكسب ود السلطان مولاي الحسن، مساهمته في الحملة العسكرية التي أرسلها بقيادة وزيره محمد الصغير لغزو آيت سخمان سنة 1880م، حيث لم يخل بواجبه رغم انهزام المحلة، بل على العكس ثبت في موقعه واستطاع - رغم الفوضى التي دبت في صفوف الجنود السلطانية- تجميع فلول الجيش المهزم وإعادته إلى القصيبة⁶. وبعدهما أدرك السلطان موهبته العسكرية وظهر له إخلاصه، ساعده على مجهوداته الرامية إلى مواصلة الحرب ضد المنشقين، ثم عينه قائدا على اتحادية آيت اسري سنة 1888م، وهو لم يتجاوز 25 سنة وزوده بفرق من الجيش بلغ عددها 300 جنديا و مدفعين خاض بها معارك كثيرة⁷، نذكر منها معركة واد أغزيف ضد آيت سخمان، وأخرى ضد أفخاد آيت ويرا المناصرين للقائد المخلوع ابن همو، فأصبحت سلطته تمتد من القصيبة إلى آيت سخمان إلى الحوض الأعلى لنهر أم الربيع، وخوفا من عودة هذه القبائل إلى العصيان قام بتأسيس قصبات في كل من بنوال، ناور، ابن شرو واغرم لعلام، وكانت أكبرها تلك التي اتخذها مقرا له بأساريف⁸، وكان هذا البناء الضخم في حد ذاته انعكاسا لنفوذه، ففيها كان يستقبل أعيان ووجهاء القبائل ويعقد معهم اتصالاته، ومن خلال هذه القصة عرفت قرية القصيبة نموا عمرانيا مطردا، وازدهرت فيها التجارة، نظرا لموقعها الجغرافي على طريق المنتجعين بين الجبل والأزغار، ونظرا لاستتاب الأمن في المناطق المجاورة فقد قصدها التجار من مدن مختلفة⁹.

كان موحى وسعيد مقاوما وسياسيا ملتزما، تميز بمرونة وديبلوماسية، قدم خدمات للمخزن، قبل وبعدهما أصبح قائدا للسلطان على قبيلته والقبائل المجاورة، وورد اسمه إلى جانب قواد وشيوخ البلاد المنخفضة من الأطلس المتوسط والمعروفة بالدير، كان ظهوره الحقيقي كرجل سياسة وحرب بين القادة الوطنيين، إثر الإنزال المشهور بالدارالبيضاء واحتلال الشاوية¹⁰.

انخرط في دعوة الجهاد التي أعلنها المولى عبد الحفيظ، خليفة السلطان على الحوز¹¹، وما زاد من حماسه، الحملة الواسعة التي قام بها الفقهاء بالمغرب بصفة عامة، وفي الأطلس بصفة خاصة، لتنوير الرأي العام المغربي، حيث كاتبوا الأعيان ممن اشتهروا بالشجاعة من أجل رفع لواء الجهاد لحماية دار الإسلام¹²، فكان من البديهي أن يلي موحى وسعيد نداءهم باعتبارهم رموز الأمة في المحافظة على قيمها وتوجهها الحضاري، ولاعتقاده أن الكافر الغاصب

لايجوز التعامل معه إلا بالسلاح، ولقناعته أن الجهاد هو الأسلوب الوحيد لمواجهة الاحتلال الأجنبي، هب من مقر قيادته بأسيريف لإذكاء روح الجهاد في النفوس، فقام بجول بإخلاص وغيره دينية، يصبح ويصرخ في القبائل الجبلية والسهلية لتوحيد صفوفها، ويحرضها على الدخول في الحرب بكل صدق وإرادة في سبيل الدفاع عن الإسلام¹³. وما أن بدأت المدرعة الفرنسية (غاليليه) تمطر الدارالبيضاء قنابل من الميناء يوم 5 غشت 1907م، وبدأ الجنرال "دروود" (Drude) في اكتساح المدينة، حتى إلتأمت بهذا المقاوم جموع غفيرة من المجاهدين قصد بهم قسبة مديونة، وذلك سنة 1908م محاولة منهم إيقاف زحف الغزاة ومؤازرة قبائل الشاوية¹⁴.

ومنذ هذا التاريخ وصورة موحى وسعيد ترتفع كما يرتفع النجم المتألق في السماء، فقد ظل يقود العمليات العسكرية على خط يمتد من القصبية وبين سهول الشاوية، في صراع عنيف ضد الاستعمار الفرنسي، كما ظل يحرض القبائل على الجهاد ويدعوها إلى بذل الجهد من أجل ذلك¹⁵.

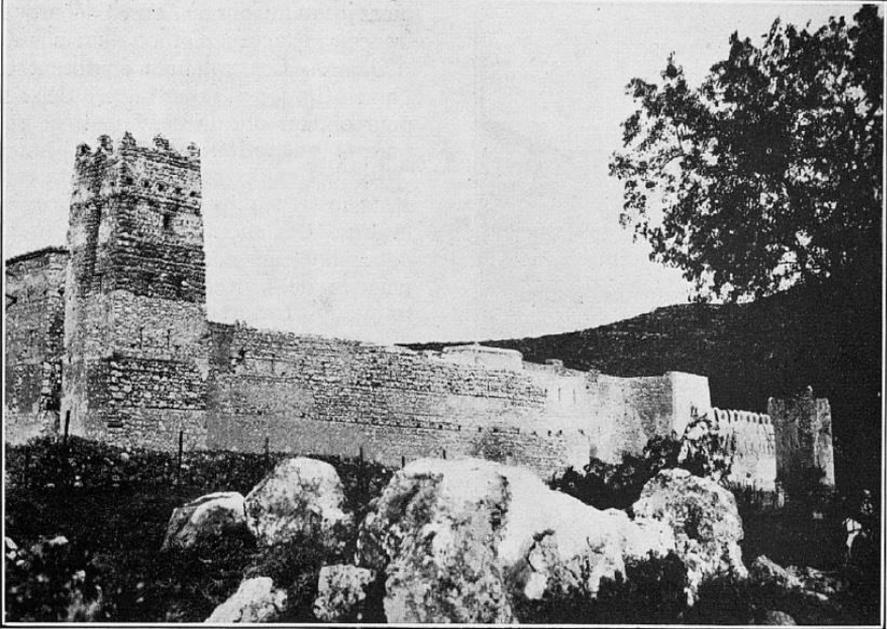
حارب موحى وسعيد ضد جيوش "مانجان" (Mangin) و"هنري" (Henry) إلى جانب موحى وحمو الزياني¹⁶، وكان يشرف بنفسه على عمليات الكوموندو التي كان المجاهدون ينفذونها ليل نهار ضد المراكز العسكرية الفرنسية في كل من واد زم وتادلة واغرم لعلام¹⁷.

وهكذا ظل موحى وسعيد حسب مزاعم الفرنسيين مصدر تهديد للوجود الاستعماري من واد زم إلى قسبة تادلة¹⁸، وبقي على ذلك حتى آخر يوم من حياته، حيث توفي بناور في بلاد آيت ويرا يوم 28 رجب 1342هـ/ 5 مارس 1924م على إثر مرض قصير، وبذلك فقدت اتحادية آيت اسري وبالخصوص قبيلة آيت ويرا زعيما احتل مكانة كبيرة في تاريخ المقاومة بالأطلس المتوسط، كما شهد له خصومه وأصدقائه، ووصفه تقرير مارس 1924م بأنه "محارب كبير، قاتل ضد عساكرنا منذ بداية الاحتلال بالشاوية وحتى لحظة احتلال القصبية ومنزل سكناه بقسبة أسيريف¹⁹.

الصورة 1: شخصية موحى وسعيد الويراري



الصورة 2: قصبة موحى وسعيد بأسريف



المصدر: Revue France Maroc, 6^{ème} année, N°68, Juillet 1922, p. 201

2- المفاوضات غيرالمجدية تفرض الخيارالعسكري

بعد نجاح الكولونيل "مانجان" الباهر سنة 1912م في مواجهة سيدي بوعثمان، والرمي بالهيبية ممثل الجنوب الأقصى، تم استدعاؤه في ربيع 1913م لقيادة القوات المرابطة في منطقة تادلا ضد قبائل بني زمور والسماعلة وآيت ويرا، المدعومة من قبل الزينيين وبربر الأطلس المتوسط، والتي قررت منع المحتل من اقتحام السهول الغنية للمنطقة، رغم النتائج المهمة المحققة والتمكن من إخضاع معظم القبائل التادلية²⁰.

بدأ "مانجان" بنهج طرق دبلوماسية بمجرد وصوله المنطقة، بغية استمالة القبائل، وكذلك تنفيذًا لتعليمات المقيم العام ليوطي الذي أصر على تحاشي الوسائل العسكرية، حيث تحدث مع زعماء القبائل الخاضعة، بمقر إقامته بأبي الجعد، في شأن الوصول إلى هدنة مع قبائل آيت ويرا، التي ظلت غير خاضعة من بين رابطة القبائل الأربع القاطنة في جنوب أم الربيع حول قصبه تادلة، والتي استأنفت قتل الفرنسيين ومضايقتهم، رغم التمكن من قصبه تادلة،

ومن القنطرة نقطة العبور الوحيدة على نهر أم الربيع، ليقرر إقامة مفاوضات مع موحى وسعيد قائد آيت ويرا بواسطة القائد المتدين المؤثر سيد أبي الجعد، والقائد عبد الله بن جابر على بني عمير المستسلم مؤخرا، وأخيرا بواسطة المنبهي وزير الحرب السابق لعبد العزيز، الذي أهدى تعاونه للمقيم العام قصد إخضاع هذا القائد الذي يدير حركة مناهضة لفرنسا، والذي جاء من طنجة قاصدا قصبية تادلة للتفاوض مع رفيقه في الحرب²¹. لقد وافق موحى وسعيد على لقاء المنبهي في واد ضيق، وعبر لهذا الأخير عن خلافه له، كما أن الجماهير التي كانت حاضرة نادى بموت المنبهي الذي اضطر إلى العودة محبطا مرتبكا، لكنه لم يستسلم وقرر مواصلة الضغط على موحى وسعيد لدفعه على الاستسلام، إلا أن هذا الأخير ظل رافضا للقاء ثان مع رئيسه الأسبق بالبرودة والسخرية والإنكار²².

خلال هذه الفترة، لم تتوقف الهجمات ضد مركز قصبية تادلة، بل تضاعفت بشكل ملفت، وكذلك نصب الكمائن للإيقاع بالفرنسيين، ولما أحس "مانجان" بعدم قدرة المنبهي على إقناع موحى وسعيد الصامد الراض لكل أشكال المساومة وألوان الإغراء، وبالرغم من أساليب الحصار والمطاردة والقصف بالطائرات التي لجأ إليها القباطنة والضباط والكولونيال الفرنسيين، لئلا تقل قدرته العسكرية وتفكيك جهته الدفاعية²³، قرر مراسلة المقيم العام عبر التلغراف يوم 3 يونيو قائلا: " المحادثات لا يمكن مواصلتها إلا بعد تلقيين الدرس للبربر ولآيت ويرا المنشقين" مقترحا عليه الحل الفريد: الحرب على موحى وسعيد، الذي ظل ولا يزال يهدد التواجد الفرنسي في المنطقة، وقد شاطره الرأي الملازم "سيمون" (Simon) رئيس الاستعلامات الفرنسية الذي صاحب المنبهي في مهمته، والذي اعتبر أنهم قدموا كل الصبر المعروف والمرغوب فيهم، ويتقاسم معه وجهة نظره، كما شاطرها الرأي نفسه المنبهي، طالبا منه إعطائه الإشارة لتنفيذ العملية العسكرية ضد القائد موحى وسعيد²⁴، إلا أن الانطباع السيئ الذي خلفه الاحتكاك الأول للقوات الفرنسية بجبال الأطلس، جعل ليوطي يتحفظ بعض الشيء في شأن الموافقة على هذا المشروع، حيث كاتب مونجان قائلا: "إذا كنت متيقنا من أن ضربة عسكرية مركزة مع عودة سريعة إلى الخلف بإمكانها تحقيق نتائج حاسمة... فإني أسمح لك بتنفيذها، إذ تبقى أنت الوحيد الذي يمكنك تقدير ذلك..."²⁵.

3- معارك القصبية

➤ المعركة الأولى / يوم 8 يونيو 1913 م

بعدها فشل "مانجان" في استمالة موحى وسعيد إلى صف القوات الفرنسية بكل الوسائل الدبلوماسية التي سلكها، أيقن أنه لم يبق أمامه سوى مواجهة هذا الأخير بالقوة، وبالتالي وجب تنظيم حملة عسكرية لضرب قرية القصبية، والقضاء على موحى وسعيد²⁶.

وما أن تمت موافقة ليوطي على التدخل العسكري الذي اقترحه "مانجان"، والذي اشترط فيه تنفيذ العمليات العسكرية بأقصى سرعة والعودة إلى المعسكر، حتى تحرك يوم 5 يونيو على رأس فرقته المتنقلة من واد زم اتجاه قصبية تادلة، التي عسكر فيها لمدة يومين من أجل التهيؤ والاستعداد للهجوم على القصبية²⁷.

لقد أعد "مانجان" لهذه الحملة العسكرية 130 ضابطاً، 4200 رجلاً، 3000 دابة و 14 مدفعية، بالإضافة إلى 1000 من الفرسان المغاربة المشايخين للقوات الفرنسية (بني زمور، السماعلة، ورديفة)²⁸، كما اجتمع يوم 7 يونيو من نفس الشهر مع كل ضباطه قصد عرض مخططة عليهم، وقد عمل على تقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى بقيادة الكولونيل "مانجان"
- المجموعة الثانية بقيادة الكولونيل "ماتيو" (Mathieu)
- المجموعة الثالثة بقيادة الكومندان "بيتركس" (Betrix)²⁹.

في حين كلف "بيكار" (Picard) بقيادة الخيالة.

انطلقت الحملة يوم 8 يونيو 1913 م من مركز قصبية تادلة على الساعة الواحدة صباحاً في سرية تامة³⁰، وقد تقدمتها مجموعة "مانجان"، تلتها مجموعة "ماتيو"، في حين كانت في آخر القافلة مجموعة "بيتركس". اصطدمت مقدمة القافلة في مشروع النفاذ على الساعة الثالثة والنصف صباحاً مع أربعة فرسان من مقاومي موحى وسعيد، الذين صوبوا نحو القوات الفرنسية بعض الطلقات، قبل أن يتوجهوا نحو الجبل لإبلاغ خبر قدوم الغزاة³¹.

اخترقت القوات الفرنسية على الساعة الرابعة صباحا البساتين الخضراء لإغرم لعلام، فوجدت قصبة موحى وسعيد القديمة شبه مهترئة³²، ومع مطلع النهار سيطرت القوات الفرنسية على اغرم لعلام دون مقاومة تذكر، لتتابع سيرها وشق المنحدرات الأولى للأطلس، فاصطدمت مع المقاومين في حدود قرية سيدي بن داوود، حيث دارت بين الجانبين معركة طاحنة، تمكنت القوات الفرنسية خلالها من قهر المقاومين بفضل القصف المدفعي المكثف، والذين استمروا في تراجعهم نحو القصيبة³³. ونظرا لضيق الممر المؤدي إلى القصيبة، وشدة تضرس الجبال المحيطة به، شكل "مانجان" وحدة عسكرية خفيفة تضم 8 سرايات ومدفعيتين من عيار 65 و فيلقين، وعدد آخر من المشايعين³⁴، في حين ترك المدفعية من عيار 75 وبقية العتاد وقوافل التموين تحت حراسة مجموعة "ماتيو"³⁵، بعد ذلك تحرك بقواته المعدلة، تقدمته فرقة الخيالة و1000 من المشايعين بقيادة "بيكار"، الذي تكلف بمهمة التعرف على مواقع المقاومين بضواحي القصيبة³⁶، التي ما أن وصل مشارفها حتى انفصل عنه المشايعين الذين توجهوا نحو أحد الدواوير لتهبه، في حين واصل طريقه والخيالة في اتجاه القصيبة، ليفاجأ بإطلاق رصاص كثيف من البساتين المجاورة للقرية³⁷، ويطوق من قبل المقاومين الذين انقضوا على الخيالة وشرعوا في قتلهم بالخناجر اتباعا، فلم ينج من هذه المجزرة "بيكار" نفسه، حيث أصابته رصاصة في ظهره حينما كان يهجم بجمع قواته المتأخرة، جعلته لم يقو على الهرب، فالتحق به أحد المجاهدين فأرداه قتيلا³⁸، ولم تسلم بقية الخيالة من القتل إلا بفضل تدخل فرسان القبائل المشايعين الذين توجهوا بعد سماعهم إطلاق النار إلى مكان المعركة، فتمكنوا من الصمود في وجه المقاومين إلى حين وصول قوات "مانجان" التي تمكنت من تشتيت صفوف مقاتلي آيت اسري³⁹، وبعد إعادة تنظيم الصفوف، واصل الغزاة سيرهم نحو قصبة موحى وسعيد، حيث قاموا بقتل من وجد في الطريق للدفاع عنها، كما قاموا بتدميرها بقصف مدفعي مكثف وطمسوا معالمها، وفي حدود الرابعة بعد الزوال عادت القوات الفرنسية في اتجاه سيدي بن داوود، سالكة نفس الطريق الذي قدمت منه، تاركة خلفها 41 قتيلا و70 جريحا⁴⁰.

➤ المعركة الثانية /يوم 9 يونيو 1913م

بعدها تعهد "مونجان" بعدم مغادرته المنطقة، قبل الإطاحة بقرية القصيبة في اجتماع له مع ضباطه، متأسفاً عن قتلى يوم 8 يونيو، متوعدا الانتقام لهم، والبحث عن جثة "بيكار" ولو تطلب الأمر قنبلة القصيبة أو إحراقها⁴¹، وذلك بعد منح قواته قسماً من الراحة لمدة يوم واحد، وهو اليوم الذي استغله لإرسال القتلى والجرحى والمدفعية الثقيلة من عيار 75 إلى قصبة تادلة، مخافة أن تسقط بين أيدي المجاهدين، وفي نفس الوقت التوصل بالعتاد والتموين وقوات أخرى، في حين استغل المجاهدون قرب استقرار الجيوش الفرنسية من الجبل، ليواصلوا هجماتهم عليها منذ طلوع الفجر⁴²، حيث لم يتوقف الشلوح، وخصوصاً المنشقين من آيت الربيع، عن تهديد المعسكر من أعالي المرتفعات، فكان الرصاص المنطلق منها يتسبب في مزيد من الإصابات في صفوف الفرنسيين، وبلغت خسائرهم لهذا اليوم 9 قتلى و55 جريحاً، ما جعل "مانجان" يعتبر الموقف حرجاً للغاية، فاختلط عليه الأمر بين الخوف والثأر، مصرحاً بأنه لم يقدر على الانتقام بما فيه الكفاية لهزيمة الخيالة يوم 8 يونيو⁴³.

لقد علم الفرنسيين كذلك بواسطة أسير لديهم، بأن مواجهة 8 يونيو شارك فيها المخالفين من آيت الربيع وآيت ويرا، مدعومين من قبل خاضعين من المنطقة الجبلية المجاورة، بقيادة موحى وسعيد نفسه وأبنائه بناصر ورحو، كما أطلعهم على أن موحى وسعيد وجه نداء للجهاد إلى كل من موحى وحمو الزباني وسيدي علي وامهاوش⁴⁴، وأخبرهم بأنه يحضر لهجوم يستهدف المعسكر الفرنسي، الشيء الذي جعل "مانجان" يعمل على تعزيز الخنادق والاستعداد لإسقاط الخيام عند أي ظهور لنيران على المرتفعات، وإطفاء الأضواء، وأخذ جميع الاحتياطات لمواجهة أي هجمة حقيقية⁴⁵.

➤ المعركة الثالثة /يوم 10 يونيو 1913م

تحرك "مانجان" وقواته قبل طلوع الشمس نحو القصيبة، حاملاً العتاد على متن 800 من البغال والجمال⁴⁶، وقد كان على رأس الحملة مجموعة "ماتيو" متبوعة بمجموعة "بتريكس"، في حين تكلفت مجموعة "مانجان" بحراسة القافلة من الخلف، لتخترق ممر سيدي بن داوود من جهة واد زمكيل على الساعة الرابعة والنصف صباحاً⁴⁷.

وصلت مقدمة القافلة إلى واد القصيبة حوالي الساعة الخامسة والربع، محتلة القمم من جهة اليسار من قبل فرقة القناصة الجزائريين⁴⁸، ومن ناحية اليمين فرقة سنغالية⁴⁹، في حين اتخذت موقع الوسط فرقة الكوم⁵⁰، وقصد تجنب حدوث نفس الكارثة التي ألمت بخيالة "بيكار"، استعان "مانجان" هذه المرة للتعرف على مواقع المقاومين بطائرة استطلاعية، ومع طلوع الشمس شاهد المقاومون قوات سنغالية منتشرة فوق القمم المطلة على الواد، في حين أشارت قوات بيتريكس بزول عدد من الفرسان والخيالة من جوانب الأطلس مظهرين أنهم متجهين نحو القصيبة، وتحت حماية التجريبات المحتلة للقمم، حاول طابور "مانجان" اختراق الوادي، فيما تسلق الأمازيغيون المندفعون الهضبة الواقعة عند الحافة الغربية من الغزاة، متجهين نحو القصيبة تحت نيران المدفعية⁵¹.

تجمعت القوات الفرنسية من جديد حوالي الساعة السابعة والنصف، وكان عليها عبور وادي القصيبة، الذي هو أكبر من سابقه (زمكيل)، وفي حدود الثامنة والربع أشار "ماتيو" بتواجد المقاومين في منطقة منحدر صخرية على بعد 4 كلم، ما جعل السير على هذا الوادي الوعر يشكل خطرا عليهم حسب "مانجان"، ما جعل هذا الأخير يقرر دخول القصيبة من الناحية الغربية قصد تجنب المقاومين⁵².

اتباعا لأوامر "مانجان"، اتجهت مجموعة "ماتيو" نحو القصيبة، بجانبها مجموعة "بيتريكس" لحماية الحركة ضد نيران المقاومين التي يمكن أن تنطلق من الجبال، في حين بقيت مجموعة "مانجان" في الخلف على حذر⁵³.

حوالي العاشرة صباحا، وتحت قصف المدافع الثقيلة، انسحب المجاهدون ليحتل "مانجان" قرية القصيبة، حيث قامت قوات المرتزقة التي كانت ترافقه بإحراق القرية ونهب أمتعة الساكنة، وبعد أن عثر وسط سوق القصيبة على جثة "بيكار" محروقة، أصدر "مانجان" الأمر إلى قواته بالإنسحاب قائلا: "حققنا هدفنا، فقد وجدنا جثة الكوموندو بيكار، وخربت قرية القصيبة، فعلى جميع الوحدات العودة إلى سهل أم الربيع"⁵⁴.

وهكذا تقدمت فرقة "ماتيو" المكلفة بحراسة قافلة التموين عبر ممر فم تاغزوت، بينما تقرر سير الفرقتين اللتين يقودهما كل من "مانجان" و "بيتريكس" فوق هضبة القصيبة لتأمين الحماية من الخلف، إلا أن هذه الترتيبات لم تمنع المقاومين من مهاجمة القوات

الفرنسية من كلا الاتجاهين، حيث قاموا بالاشتباك معها مستعملين السلاح الأبيض مكبدين إياها خسائر هامة، ولم يتخلص الفرنسيون من هجمات المقايمين المتتالية إلا بفضل القصف المدفعي⁵⁵. وفي الوقت الذي اعتقد "مانجان" وقواته أن المعركة قد انتهت، فاجأهم المقاومون، وسط مسلك يخترق غابة كثيفة، بهجوم كاسح استعملت فيه الخناجر، وفي محاولة لمد يد المساعدة من قبل فرقة سنغالية، تم تطويقها من قبل المجاهدين هي الأخرى، فانقضوا عليها في قتال شرس، ولم تتمكن القوات الفرنسية الوصول إلى سهل أم الربيع إلا بصعوبة، بعد أن تكبدت خسائر فادحة قدرت ب 100 قتيل و140 جريحاً، فضلاً عن فقدانها عدد كبير من الذخيرة والعتاد⁵⁶.

لقد كان معارك القصيبة 8-9-10/ يونيو 1913م صدى كبيرا في مجموع الجبل والسهل، رغم الحصار الإعلامي الفرنسي، وتناقل السكان أخبارها حتى بلاد السراغنة، وتحمسوا للجهاد، فألى جانب تكبد القوات الغازية لخسائر بشرية مهمة، بلغت 320 جندياً منهم 150 قتيلاً ومفقوداً، وهورقم كبير إذا ما قورن بحجم الخصم الذي كان يقل عنها في كل شيء، ما عدا الشجاعة والإيمان بالقضية الوطنية، فقد خلف انهزامها تأثيراً كبيراً في نفسية الجنود والقادة الذين صدموا بقوة المقاومين التادليين وتنظيمهم إبان المعارك، رغم ضعف تسليحهم وتأطيرهم، وأهم ما يضاف إلى هذه الملحمة البطولية هو اعتراف القيادة العسكرية الفرنسية بها، ويقول كيوم في هذا الصدد: "وكيفما كان الأمر فإن عمليات القصيبة كان لها أثر كبير على مستقبل القوات الفرنسية بالمغرب"، ويضيف: "إن عملية القصيبة رغم المجهودات التي بذلتها فرقنا، كانت بالنسبة إلينا فشلاً ذريعاً، فالجنرال ليوطي استنكر الطريقة التي طبقتها العقيد مانجان في هذه المعركة، مما حدى به أن يغادر المغرب⁵⁷"، ويؤكد ذلك عدم تردد ليوطي في إلقاء اللوم على الكولونيل "مانجان" بسبب فشله الذريع الذي لقيه إبان المواجهة، رغم اعترافه بقوة الخصم وصعوبة المعارك، في رسالة إلى وزير الحرب في 2 غشت 1913م، جاء فيها: "إن الأمر لا يتعلق بعمليات عسكرية كبرى، بل بالحرب بكل مفاجأتها، إن الأمر يتعلق بأصعب معركة خضناها في المغرب، فوق أصعب ميدان، وضد عدو شرس قوي أثناء المواجهة...⁵⁸". وعقاباً له فقد أقدم على إعفائه من مهامه، وإبعاده إلى باريس، ليخلفه الكولونيل "كارنييه" (Garnier)، في حين كانت هذه المعارك حافزاً بالنسبة لرجال المقاومة، رغم

الخسائر التي تكبدتها، والتي قدرت ب 540 قتيلًا، فضلًا عن آلاف الجرحى⁵⁹، وجعلتها تتمسك أكثر من أي وقت مضى بموقفها في المواجهة وعدم الخضوع لسلطة المحتل⁶⁰.

الصورة 3: قافلة للإمدادات للقوات الفرنسية في اتجاه القصيبة



المصدر: Revue **France Maroc**, 6^{ème} année, N°68, Juillet 1922, p.199

معية للإستراتيجية الجهادية من خلال مشاركة هذا المقاوم في عدة معارك كفاحية خارج تراب قبيلته، إلى جانب رموز آخرين أبلوا البلاء الحسن في ساحة المقاومة الوطنية، وذلك داخل جبهات عسكرية متفرقة، كان فيها الصدام بين الجيوش الفرنسية والمجاهدين مصيرياً في غاية القوة، وبفضل مقاومته العنيفة داخل المجال التادلي، فقد تمكن من تأخير إحكام السيطرة الفرنسية على هذه المنطقة لمدة تزيد عن إحدى عشر سنة. وهكذا يمكن القول بأن منطقة تادلا لم تكن بتلك الرقعة السهلة الاختراق، كما ظن الفرنسيين قبل دخولها، إذ لم تتمكن القوات الفرنسية من السيطرة عليها، إلا بمساهمة فرق الكوم وفرسان القبائل التادلية الخاضعة، التي حملت فيما قبل راية الجهاد.

الهوامش

- 1- محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة والمقاومة وجيش التحرير: أعلام المقاومة المسلحة الأولى، تأليف ونشر المندوبية السامية لقدماء المحاربين وجيش التحرير، منشورات عكاظ، الرباط، 2008، مج 2، ج 2، ص.488
- 2 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل العربية والأمازيغية للغزو الفرنسي بزعامة المجاهد موحى واسعيد على عهد السلطان المولى يوسف"، أعمال الدورة الثانية عشرة لجامعة مولاي علي الشريف، أيام 19-20 نونبر 2004، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، 2005، ص. 344
- 3 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 488
- 4 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 488
- 5 - نفسه، ص. 488
- 6-Guillaume, Auguste, Les berbères marocains et la pacification de l'atlas centrale (1912-1933), René Julliard, Paris, 1946, p. 52
- 7-Réginald Kann, Le protectorat marocain, Berger- Levraut, éditeurs Nancy- Paris- Strasbourg, 1921, p.15
- 8 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 489
- 9 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي قائد حركة الجهاد في منطقة تادلا (1908-1924)"، ندوة علمية: المقاومة بجهة تادلا أزيلال 1908-1956 السياق والخصوصية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، أيام 15-16-17 أبريل 1999، ص. 66
- 10 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل...."، مرجع سابق، ص. 344
- 11 - الفقيه، الادريسي، "التدخل الفرنسي في منطقة القصيبة بين استراتيجية الاحتلال وردود فعل المقاومة المحلية"، ندوة علمية: المقاومة بجهة تادلا أزيلال 1908-1956 السياق والخصوصية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، أيام 15-16-17 أبريل 1999، ص. 225
- 12 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل...."، مرجع سابق، ص. 344
- 13 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 489-490
- 14 - الفقيه، الادريسي، مرجع سابق، ص. 227
- 15 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 490
- 16 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل...."، مرجع سابق، ص. 344
- 17 - محمد، بن لحسن، "موحى وسعيد الويراوي"، مرجع سابق، ص. 490
- 18 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل...."، مرجع سابق، ص. 333
- 19 - الملكي، المالكي، الغزو الاستعماري ومقاومته في الأطلس المتوسط (1913-1930)، د. د. ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1990-1992، ج 2، ص. 778

- 20-Theveney, « La colonne Mangin à Ksiba », in L'Afrique, N°75 vendredi 2 janvier 1931, p.3
- 21-Ibid, p.3
- 22-Anonyme, « La campagne de Tadla », in revue de Paris, 15 Septembre 1913, p.441
- 23 - المللكي، المللكي، "تصاعد مقاومة القبائل..."، مرجع سابق، ص.333
- Theveney, op.cit, p.3 - 24
- 25-Guillaume, (A),op.cit, pp. 138-139
- 26-Anonyme, op.cit, p. 441
- 27-Guillaume, (A),op.cit, pp. 138-139
- 28-Theveney, « La colonne Mangin à Ksiba », in L'Afrique, N° 75, mardi 6 mars 1931, p. 3
- 29-Ibid, p. 3
- 30-Situation politique du Maroc occidental, in Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, juin 1913, p. 7
- 31-Theveney, mardi 6 mars 1931, op.cit, p. 3
- 32-Ibid, p. 3
- 33-Guillaume, (A), op.cit, p. 140
- 34 - مجموعات مقاتلة تتكون من عناصر تنتهي للقبائل الخاضعة للقات الفرنسية والمعروفة بقدراتها القتالية
- 35 - محمد، العلوي، قادة حركة تحرير الأطلس ، مطبعة الدار البيضاء، ط 1، 1979، ص.66
- 36-Anonyme, op.cit, p. 442
- 37-Guillaume, (A), op.cit, p. 141
- 38- محمد، العلوي، مرجع سابق، ص.66
- 39-Partie non officielle, in Bulletin Officiel, N° 34 / 20 juin 1913, p.100
- 40-Solay,(J), Histoire des Goumes marocaines, Public réalisation, Paris, T 1, p. 66
- 41-Theveney, « La colonne Mangin à Ksiba (juin 1913) »,in L'Afrique, mardi 17 mars 1931, p.3
- 42 - محمد، العلوي، مرجع سابق، ص. 67
- 43 - المللكي، المللكي، "تصاعد مقاومة القبائل..."، مرجع سابق، ص. 337
- 44 - سيدي علي أمهاوش:زعيمًا أمازيغيًا من اتحادية آيت سخمان، تميزت حياته بنشاط ديني وسياسي شمل مجموع الأطلس وتادلا، وذلك من أجل مقاومة الغزو الفرنسي
- 45-Theveney, mardi 17 mars 1931,op.cit, p.3
- 46 - محمد، العلوي، مرجع سابق، ص. 68
- 47-Theveney, « La colonne Mangin à Ksiba », in L'Afrique, mardi 31 mars 1931, p.3

- 48 - هي قوات من مجموع القوات النظامية في المغرب، تواجدوا في كل الجهات الساخنة، حيث شكلوا القوات الضاربة لقوات الاحتلال
- 49 - شكل الجنود السنغاليون أحد أهم العناصر التي اعتمدت عليها القيادة الفرنسية كقوة هجومية خلال المراحل الأولى من غزو تادلا
- 50-Theveney, mardi 31 mars 1931,op.cit, p.3
- 51 - الملكي، المالكي، "تصاعد مقاومة القبائل...."، مرجع سابق، ص: 337
- 52-Theveney, mardi 31 mars 1931, op.cit, p.3
- 53-Ibid, p.3
- 54-Guillaume, (A), op.cit, p. 141
- 55-Ibid, p. 142
- 56-Anonyme, op.cit, p. 436
- 57 - سمير، بوزوينة، " جبهة تادلة بين الاستراتيجية العسكرية الفرنسية وموقف الاعتراف بالمقاومة التادلاوية" ندوة علمية: المقاومة بجبهة تادلا أزيلال 1908-1956 السياق والخصوصية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، أيام 15-16-17 أبريل 1999.
- 58-Guillaume, (A), op.cit, p. 146
- 59-Partie non officielle,in Bulletin officiel, N° 35/27 juin 1913, p.205
- 60-Guillaume, (A), op.cit, p.147